153574 - هل يجوز الدعاء للكافر الحي بالمغفرة والرحمة ؟

السؤال

قال تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) ، إن والدتي تاركة للصلاة ، وبحسب ما أعلم أن تارك الصلاة خارج من الملة ، فكيف يجوز لي أن أدعو لها بالرحمة إذاً ؟ .
لكنّ أحد طلبة العلم قال لي : إنه يجوز أن أدعو لها بهذا الدعاء في حال حياتها فقط ؛ لأن الله قد يرحمها فيهديها للصلاة ، فهل هذا صحيح ؟ .
وهل يصح أن أدعو بهذا الدعاء لوالدي ؟ وكيف تكون صيغة الدعاء باللغة العربية إذا دعوت له ؟ أرجو منكم الدعاء لوالدتي بأن يهديها الله .

الإجابة المفصلة

أولاً:
نسأل الله تعالى أن يهديَ والدتك لما يحب ويرضى ، وأن يجعلها من القانتات العابدات ، وأن يقرَّ عينك بهدايتها وصلاحها ، كما نسأله تعالى أن يجمع شمل أسرتكم في الدنيا على الطاعة وفي الآخرة في الفردوس الأعلى .

ثانياً:
ما قاله طالب العلم من أنه يجوز الدعاء بالرحمة لغير المسلم في حياته : صحيح على معنى : أن يرحمه الله مما هو فيه من المعصية ، ويهديه للطاعة ، فينقله من أهل نقمته إلى أهل رحمته .
والأصح الذي لا إشكال في جوازه وصحته أنه يُدعى للكافر الحي بالهداية ، لا بالرحمة ولا بالمغفرة ، وفي ذلك خروج من خلاف قائم في المسألة .
ومما يدل على هذا الأصح ما رواه الترمذي (2739) وأبو داود (5038) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ ، فَيَقُولُ (يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ) .
وانظر جواب السؤال رقم (43164) .

ثالثاً:
لا خلاف بين العلماء في أنه لا يُدعى بالمغفرة والرحمة للكافر الذي مات على الكفر .
قال النووي – رحمه الله – :
الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة : حرام بنص القرآن والإجماع .
" المجموع " (5 / 119) .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنَّة والإجماع .

" مجموع الفتاوى " (12 / 489) .

وأما الدعاء بالرحمة والمغفرة للكافر الحي : فثمة أقوال كثيرة للعلماء في جواز ذلك ، لا على معنى مغفرة شركه وكفره إن مات عليهما ، ولا أن يرحمه ربه تعالى وقد لقيه كافراً ، ولكن ذلك الدعاء محمول على تحقيق ما يكون سبباً في مغفرته ورحمته وهو أن يوفَّق للإسلام ، وهذا أحد الوجوه التي يُحمل عليها قوله تعالى– على لسان إبراهيم عليه السلام – (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) إبراهيم/ 36 ، وقوله صلى الله عليه وسلم (اللهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) – رواه البخاري (3290) ومسلم (1792) – .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

(وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ولم يقل " فإنك عزيز حكيم " لأن المقام استعطاف وتعريض بالدعاء ، أي : إن تغفر لهم وترحمهم بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد ومن المعصية إلى الطاعة كما في الحديث (اللهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

" مدارج السالكين " (1 / 36 ، 37) .

وقال بدر الدين العيني – رحمه الله – في شرح حديث (اللهُمَّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي) – :

معناه : اهدهم إلى الإسلام الذي تصح معه المغفرة ؛ لأن ذنب الكفر لا يُغفر ، أو يكون المعنى : اغفر لهم إن أسلموا .

" عمدة القاري شرح صحيح البخاري " (23 / 19) .

وذكر الحافظ ابن حجر هذين الوجهين في " فتح الباري " (11 / 196) .

وبجواز الدعاء بالرحمة والمغفرة على هذا المعنى قال طائفة من العلماء :

1. قال القرطبي – رحمه الله – :

وقد قال كثير من العلماء : لا بأس أن يدعوَ الرجل لأبويه الكافرين ويستغفر لهما ما داما حيَّيْن ، فأما من مات : فقد انقطع عنه الرجاء فلا يُدعى له .

" تفسير القرطبي " (8 / 274) .

2. قال الآلوسي – رحمه الله – :

والتحقيق في هذه المسألة : أن الاستغفار للكافر الحي المجهول العاقبة ، بمعنى طلب هدايته للإيمان مما لا محذور فيه عقلاً ونقلاً ، وطلب ذلك للكافر المعلوم أنه قد طُبع على قلبه وأَخبر الله تعالى أنه لا يؤمن وعلم أن لا تعليق في أمره أصلا : مما لا مساغ له عقلاً ونقلاً ، ومثله طلب المغفرة للكافر مع بقائه على الكفر على ما ذكره بعض المحققين ، وكان ذلك – على ما قيل – لما فيه من إلغاء أمر الكفر الذي لا شيء يعدله من المعاصي ، وصيرورة التكليف بالإيمان – الذي لا شيء يعدله من الطاعات – عبثاً ، مع ما في ذلك مما لا يليق بعظمة الله عز وجل .

" روح المعاني " (16 / 101) .

والخلاصة :

الأفضل أن تدعو لوالدتك بالهداية والتوفيق ، وأن يشرح الله صدرها للقيام بما أمرها الله تعالى به ، ولو دعوت لها بالرحمة فلا مانع ،

على إرادة أن يرزقها الله التوفيق والهداية لما تستحق به الرحمة ، وهو الصلاة .

ولمعرفة الطريقة المثلى لدعوة تارك الصلاة : انظر جواب السؤال رقم (47425) .

والله أعلم